﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: 120]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

في مناسبةِ هذه الآيةِ لما قبلها وجهان:

بيانٌ للحكمةِ من الإخبارِ بقصصِ الرّسلِ السّابقةِ واختلافِ النّاسِ في الدّين

الأوّل: لمّا أخبر سبحانه بما فعل بالقُرى الظّالمة، وحذّر كلَّ مَنْ فعلَ أفعالهم بسطوته في الدّنيا والآخرة، وأمرَ باتّباع أمره، والإعراضِ عن اختلافهم الّذي حكم به وأراده، لمّا فعل ذلك عطف قولَه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ على قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ [هود: 100][1].

الثّاني: لمّا ذكرَ اللّه تعالى في هذه السّورة من أخبار الأنبياء؛ ذَكرَ الحكمة في ذِكرِ ذلك، فقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَّقُصُّ﴾: القافُ والصّادُ أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تتبّع الشّيء، من ذلك قولهم: اقْتَصَصتُ الأثر، إذا تتبّعته[3]، والقَصُّ: تَتَبُّعُ الأثَرِ، والقصُّ فعلُ القاصّ إذا قصَّ القصص، وذلك لإتباعه خبرًا بعد خبر، وسَوْقِهِ الكلامَ سَوقًا[4]، ويُقال: قصّ عليه القصّةَ: رَواها، وقصَّ عليه الرُّؤْيا: أخبرهُ بها، وقصّ عليه الخبر قصًّا وقصصًا: أعلمهُ به وأوردهُ على وجههِ، والقاصُّ: مَن يأتي بالقصّةِ على وجهها، كأنّه يتتبّعُ معانيها وألفاظها، والقِصّةُ: الخبرُ ذو الأمورِ المتتالية[5].

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/403.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 392.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قص).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (قصص).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).

والمعنى في الآية: نُخبرك من أنباء الرّسل[1].

2) ﴿نُثَبِّتُ﴾: الثّاءُ والباءُ والتّاءُ أصلٌ يُفيد دوامَ الشّيء[2]، يُقال: ثَبَتَ الشَّيْءُ يَثْبُتُ ثَباتًا وثُبُوتًا: دامَ واسْتَقَرَّ، وثَبَتَ بالمكان: أقامَ، وثَبَتَ الأمر: صحّ وتحقّق، وتَثْبيت الفُؤادِ: تَسْكِينُ القَلْب[3]، والثَّبْتُ: الحُجَّةُ والبَيِّنَة، أثْبَتَ حُجَّتَهُ: أقامَها وأوْضَحَها، وثَبَّتَه عَن الأمرِ: كَثَبَّطَه[4]، والثَّباتُ: ضدّ الزّوال، والتّثبيتُ: التّقويةُ، يُقال: ثبَّتُّهُ؛ أيْ: قوّيتُه[5].

والمعنى في الآية؛ أيْ: نُقوّي ونُسكّن به قلبَكَ، ونزيده يقينًا وطمأنينة[6].

3) ﴿فُؤَادَكَ﴾: الفاءُ والألفُ والدّالُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حُمَّى وشِدَّةِ حرارةٍ، ومنه: الفُؤادُ، سُمِّيَ بذلك لحرارته، والفَأْدُ: مصدرُ فَأَدْتُهُ، إذا أصَبْتَ فُؤادَهُ[7]، والفُؤادُ: القلب؛ لكنْ يُقال له: فُؤادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ؛ أيْ: التّوقّد[8]، وقيل: أصلُ الفأْدِ الحركة والتّحريك، ومنه اشتُقَّ الفُؤادُ، لأنّه ينبضُ ويتحرّك كثيرًا[9].

والمُراد بـ ﴿فُؤَادَكَ﴾: قلبك، وهو موافقٌ للمعنى اللّغويّ، ويُطلق على الإدراك كما هو الشّائع في كلام العرب، وتثبيتُ فؤاد الرّسول ﷺ زيادةُ يقينهِ ومعلوماتهِ بما وعده الله[10].

4) ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الحاءُ والقافُ أصلٌ واحد يدلّ على إحكام الشّيءِ وصحّته، فالحقّ: نقيضُ الباطل[11]، وأصلُ الحقّ: المطابقةُ والموافقةُ، وجمعُهُ: حُقوق وحِقاق، وحَقَّ الأمر: وجَبَ، ومن معاني الحقّ: الصّدقُ، والعدلُ، والإسلامُ، وأمرُ النّبيّ ﷺ، وما أتى به من القرآن[12]؛ أيْ: كلّ ما طابقَ ووافقَ تعاليم الإسلام.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/248.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ثبت).
(3) ابن منظور، لسان العرب، ومجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (ثبت).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (ثبت).
(5) الرّاغب، المفردات: (ثبت).
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/226، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 6/143.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فأد).
(8) الرّاغب، المفردات: (فأد).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (فأد).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/192.
(11) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حق).
(12) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حق).

والمُراد بالحقّ في الآية: الشّيءُ الثّابتُ المطابقُ للواقع بما جرى، الّذي ليس فيه تغييرٌ ولا تحريفٌ[1]، والصّدقُ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[2].

5) ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: الواو والعين والظّاء من الوعْظِ، وهو التّخويفُ، والعِظَةُ الاسم منه، والموعظةُ: النُّصحُ والتّذكيرُ بالعواقب[3]، وقيل: الوعْظُ: التّذكيرُ بالخير فيما يرقّ له القلب[4]، وقيل: الوعظُ: زجرٌ مقترنٌ بتخويفٍ، وعَظَهُ يَعِظُهُ: ذكّرَهُ بما يُلين قلبه من الثّواب والعقاب، والاتّعاظ: قبول الموعظة[5]، وكأنَّ الواعظَ يُذكّر ويُنبّه غيرَه إلى عواقبِ ما يفعله، أو ما هو مُقدِمٌ عليه ليتوقّف عنه، ويظهرُ وكأنّ الوعظَ خاصٌّ بالزّجر عمّا له عواقبُ سيِّئة، ثمّ عُمّمَ في الحضِّ على ما له ثواب[6].

والمُراد بـ ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ في الآية: ذكرى تذكّركم عقابَ اللّه وتخوّفكم وعيده[7]، أو وصيّة بالحقّ والخير، واجتناب الباطل والشّرّ، بأساليب التّرغيب والتّرهيب الّتي يرقُّ لها القلب، فتبعث على الفعل أو التّرك[8].

6) ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: ذَكَرْتُ الشّيءَ: خِلافُ نَسِيتُهُ، ثم حُمِلَ عليه الذِّكْرُ باللّسان، ويقولون: اجْعَلْهُ منكَ على ذُكْرٍ – بضمّ الذّال –؛ أيْ: لا تَنْسَهُ[9]، والذِّكْرُ: الحِفْظُ للشّيءِ تَذْكُرُه، والذِّكْرُ أيضًا: جَرْيُ الشّيءِ على لسانكَ، وأذْكَرَهُ إيّاه: ذَكَّرَهُ، والاسمُ: الذِّكْرَى؛ أيْ: اسمٌ للتّذكير، ويكون الذِّكْرَى بمعنى: الذِّكْرِ، ويكون بمعنى: التَّذَكُّرِ، والذِّكْرُ والذِّكْرى: نقيضُ النّسيان[10].

والمُراد في الآية: تذكيرٌ لِما يجب أنْ يتديّنوا به، ويجعلوه طريقهم وسِيرتَهم[11]، والإرشادُ إلى الأعمال الباقية الصّالحة النّافعة في الآخرة المحصّلة لِما هنالك من السّعادة[12].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/229، والشّعراويّ، تفسير الشعراوي: 11/6776، وطنطاويّ، الوسيط: 7/295.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني: 6/1225.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وعظ).
(4) الرّاغب، المفردات: (وعظ).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (وعظ).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وعظ).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 15/104.
(8) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/122.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ذكر).
(10) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (ذكر).
(11) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/142.
(12) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/413، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/60.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سماعُ أخبارِ الأخيارِ تقويةٌ للعزائم وإعانةٌ على الاقتداءِ وتأييدٌ للحقِّ بذِكْرِ شواهِدِه

يُخبر الله تعالى ذِكْرُه بأنَّ كلَّ خبرٍ نقصُّه عليك - أيّها الرّسول - من أخبار الرّسل الّذين كانوا قبلك ممّا تحتاج إليه ممّا يُقوّي قلبَك، ويزيدُ يقينَك للقيام بأعباء الرّسالة، فلا تجزعْ من تكذيب مَن كذَّب بك من قومك، ومن ردِّهم عليك ما جئتَهم به، ولا يضِقْ صدرُك إذا علمتَ ما لقي مَن قبلك من رُسلي من أُممهم، وقد جاءك في هذه السّورةِ وما اشتملت عليه من أخبارٍ بيانُ الحقّ الّذي أنت عليه، وموعظةٌ من الله تعظُ بها الجاهلين به، وتُبيّن لهم عِبَرَهُ ممّن كفر به وكذّب رسله، ويتّعظ بها المؤمنون إذا سمعوا فيها ما نزل بالأمم من العذاب، وتذكرة تُذكّر المؤمنين بالله ورُسُله، كي لا يغفُلوا عن الواجب لله عليهم[1].

وتُرشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ الإخبار بقصص الأنبياء وأخذَ العبرة منها يُثبِّت القلوبَ ويُصبِّر النُّفوس كما صبر أولو العزم من الرّسل؛ لأنّ النّفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحقّ بذِكْر شواهده، وكثرة مَن قام به، وتُرشد إلى أنَّ الاتعاظَ طريقُ الإيمان، ومَن لم يتّعظ بغيره فالبلاءُ في نفسه شديد، وهذا الاتّعاظُ للمؤمنين الّذين في قلوبهم رغبةٌ وتوجُّهٌ إلى الإيمان[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو ودلالة ما بعدها في: ﴿وَكُلًّا﴾:

المبالغةُ في توكيدِ أغراضِ أنباءِ الرّسل بعطفِ النّسق أو بالاستئناف أو بالجملة الاعتراضيّة

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه:

الأوّل: أنْ تكون عاطفةً، عطفَ الإخبارِ على الإخبار، والقصّةِ على

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/539.
(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 392، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3778.

القصَّةِ، وفائدةُ العطف: توكيدٌ للمعنى الجامع، وهو الاعتبارُ بأخبار الأمم السّابقةِ مع أنبيائهم، وزيادةُ بيانٍ لأغراضِ هذه الأخبار بالتّهيئة لاختتام السّورة، وفذْلَكةٌ لما سيق فيها من القصص والمواعظ[1].

الثّاني: أنْ تكون الواو استئنافيّةً؛ تأكيدًا لما سبقها، والمعنى أنّ كلّ أنواعِ القصص الّتي قصّها الله عليه ممّا سبق في هذه السّورة من أحوالِ الأنبياءِ مع أقوامهم، وما حلّ بأقوامهم من العذاب، وكيف نصرَ الله أنبياءه؛ جاءتْ هذه القصصُ لتُثبّت قلبَه ﷺ، ولتُهدّد أعداءه.

الثّالث: أنْ تكونَ اعتراضيّةً؛ تقويةً للكلام الّذي اعترضتْ بين أجزائه وتوكيدًا لمعناه، إذ الاعتراضُ جارٍ عند العرب مجرى التّأكيد[2]، ومن سماتِ الجُملةِ الاعتراضيّة تقويةُ الكلام الّذي اعترضتْ بين أجزائه[3]، والمعنى أنّه بعد تهديدِ الكافرين بما حلّ بالأمم السّابقة لَمّا كذّبوا رسلهم، ولم يُوجد بينهم مَن له عقلٌ ينهى عن الفسادِ؛ أطنبَ البيانُ الإلهيّ بالجملة الاعتراضيّة؛ لتُبيّن أهميّة هذه الأخبار في تثبيت قلبِ النّبيّ ﷺ، وأمّته بما تحمله من مواعظ وعِبَرٍ، وليعلنَ رسولُ الله بعد ذلك لكفّار قريشٍ مهدّدًا ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

نكتةُ تقديم المفعول ﴿وَكُلًّا﴾:

﴿وَكُلًّا﴾ منصوب على المفعوليّة للفعل ﴿نَّقُصُّ﴾، والتّقدير: نقصُّ عليك كلًّا من أنباءِ الرّسل، وقد قدّمه البيانُ الإلهيّ على فعله؛ للمبالغةِ في الاهتمام، والتأثيرِ في نفسِ السّامع؛ "إذ الأهمّ قصّتُه لا القصّة نفسها"[4]، ولِما فيه من الإبهام؛ ليأتي بيانه بعدهُ فيكونَ أرسخَ في ذهنِ السّامع[5].

كلُّ نبأٍ من أنباءِ الرّسل مهمٌّ في طريقِ دعوته ﷺ ومواجهته الكافرين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.
(2) ابن جِنّي، الخصائص: 1/336.
(3) ابن هشام، مُغني اللّبيب، ص: 306، ومُوصل الطّلّاب، ص: 55.
(4) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/240.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.

وذلك كلّه تأكيدٌ لمضمون كلِّ نوعٍ من أنواع هذه الأنباء العظيمة، وما تحمله من أغراضٍ إيمانيّة وتربويّة تُثبّتُ قلبَ النّبيّ ﷺ.

دلالة تنوين ﴿وَكُلًّا﴾:

جاء تنوين ﴿وَكُلًّا﴾ عوضًا عن المضاف إليه المحذوف المبيّن بقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾، والتّقدير: (وكلُّ نبأٍ عن الرّسلِ نقصّهُ عليك)، فقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ بيانٌ للتّنوين الّذي لحقَ ﴿وَكُلًّا﴾.

كلُّ نبأٍ من أنباءِ الرّسلِ عظيمٌ في شأنهِ وأثرِهِ في طرقِ دعوتهِ ﷺ

فالتّنوينُ في هذا المقام تنوينُ العِوض، إذ عُوِّضَ هذا التّنوين عن كلمة (نبأ)، والتّقدير: نقصُّ عليك كلَّ نبأ من أنباء الرّسل مع أُمَمهم صالحيهم وفاسديهم، وهذا يدلّ على العموم الّذي قُصد به هنا: التّفخيم[1].

نكتة التّعبير بالمضارع ﴿نَّقُصُّ﴾:

عبّر البيانُ الإلهيُّ عن القصّ في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ بصيغة المضارع ﴿نَّقُصُّ﴾؛ لأمريْن:

استمرارُ أثرِ القصص النّبويّ القرآنيّ في حياته ﷺ وحياةِ أمّته من بعده

الأوّل: الدّلالةُ على استمرارِ نزول القصصِ القرآنيّ على النّبيّ ﷺ، واستمرارِ تلاوته إلى قيام السّاعة؛ لحاجتهِ ﷺ، وحاجةِ أمّته إلى التّثبيت.

الثّاني: تصويرُ مشهد نزولِ القصص القرآنيّ، واستحضارُ صورته بما يحمله هذا الاستحضار من زيادة تثبيتٍ لقلبِ النّبيّ ﷺ، وبما يُظهره من رعاية الله للنّبيّ ﷺ.

لطيفةُ نون العظمة في ﴿نَّقُصُّ﴾:

ما يخبرُ به العظيمُ سبحانهُ عظيمُ المكانةِ والأهميّة والأثرِ، وهو حقٌّ لا مِرْيةَ فيه

جاء فعل (القصّ) في قوله تعالى: ﴿نَّقُصُّ﴾ بصيغة الجمع، وفاعله هو الله ﷻ؛ للتّعظيم؛ أيْ: تعظيمُ هذه الأنباء، وما تحمله من عِبَرٍ لها أثرٌ عظيمٌ في تثبيتِ قلبِ النّبيّ ﷺ، وقلبِ أمّته

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/403.

إلى أنْ تقومَ السّاعة في الدّعوة إلى الله، وبالتّالي تأكيدُ إثبات صدقها وحقّيّتها.

وكذلك تعظيمُ مَن تتنزّل عليه ﷺ، وتعظيمُ أمّته المتمسّكةِ بكتابِ ربّها المتّخذةِ منه مصدر العِبَر والعِظات.

فائدةُ التعدّي في ﴿نَّقُصُّ عَلَيۡكَ﴾:

أنباءٌ عظيمةٌ لها شأنٌ خاصّ في تنزّلها على قلبِ النّبيّ ﷺ

عدَّى البيانُ القرآنيّ فعْلَ القصّ في قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ بحرف الجرّ (على) الّذي يفيدُ معنى الاستعلاء، مع أنّه كان يمكن أنْ يقول: (وكلًّا نقصّ من أنباء الرّسل)، إلّا أنّه عدّاه بـ (على) وأضافه إلى ضمير النّبيّ ﷺ؛ وفي ذلك تخصيصٌ وتشريفٌ للنّبيّ ﷺ بأنّ قصَّ أنباءِ الرّسل كان على النّبيّ خاصّةً عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام الّذي يتنزّل على النّبيّ ﷺ؛ أيْ: لم يكن وحيًا منامِيًّا، وهذا فيه إشارةٌ إلى عظيم شأنِ هذه القصص المُنزّلة من الله سبحانه، وعظيم غرضها وثمراتها، وعلوّ مكانتها عند الله سبحانه.

معنى ﴿مِنۡ﴾ في ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾:

(مـــن) بين الابتدائيّة والتّبعيضيّة والبيانيّة

يحتمل حرفُ الجرِّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ ثلاثةَ معانٍ:

الأوّل: ابتداءُ الغاية؛ أيْ: نقصُّ عليك مبتدئين بأنباء الرّسل.

الثّاني: التّبعيضيّة[1]؛ والمعنى: كلَّ نبأٍ نقصّه عليك من بعض أنباء الرّسل.

الثّالث: البيانيّة؛ أيْ: بيانٌ لـ (كلّ)، والمعنى: نقصّ عليك كلّ أنباء الرّسل[2] الّذين قصّهم القرآن، لقوله تعالى في آية أخرى:

(1) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/240.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/91.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۚ﴾ [غافر: 78].

سرُّ اختيار النبأ في ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾:

أنـبـاءُ الـرّسـل أنـبـاءٌ عظيمةٌ صادقةٌ لم يكنْ النّبيُّ يعلمُ بها قبل إعلام الله له

عبّر البيانُ القرآنيّ بمادّة النّبأ في مفردة ﴿أَنۢبَآءِ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾، دون مادّة الخبر، فلم يَقُل: (من أخبارِ الرّسل)؛ إشارةً إلى عِظم شأنِ ما احتوى عليه القرآن عمومًا وسورة هود خصوصًا من أخبار الرّسل العظيمةِ جدًّا[1] الصّادقةِ، الحقِّ، المطابقةِ لِما جرى دون تغيير أو تحريف[2]، "ذات الشّأن كدعوتهم إلى التّوحيد، وردّ أقوامهم، ومعاندتهم، ثم نزول الهلاكِ بهم، بعد أنْ استيئسَ الرّسل"[3]، إذ النّبأُ هو الخبرُ الّذي له شأنٌ عظيم، ومنه اشتقاقُ النّبوّة؛ لأنّ النّبيّ ﷺ مُخبِرٌ عن اللّه تعالى، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النّبأ: 1 - 2]، فوصْفُه بالعَظَمَةِ وصفٌ كاشفٌ عن حقيقته، قال الرّاغب: "النّبأ خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصل به علمٌ أو غلبةُ ظنّ، ولا يُقال للخبرِ: نبأٌ حتّى يتضمّن هذه الأشياء، وحقُّ الخبرِ الّذي يُقالُ فيه نبأٌ أنْ يتعرّى عن الكذبِ كالتّواتر"[4]، وهذا بخلافِ الخبرِ الّذي قد يكونُ عظيمًا وله فائدةٌ، وقد لا يكون، وقد يكونُ صادقًا، وقد لا يكون، كما أنّ النّبأ لا يكون إلّا للإخبارِ بما لا يعلمهُ المُخبَر، ويجوز أنْ يكون الخَبَرُ بما يعلمهُ وبما لا يعلمهُ[5]، وقصصُ الرّسل الّتي قصّها اللّه على النّبيّ ﷺ هنا في هذه السّورة لم يكنْ يعلمها النّبيُّ ﷺ؛ فناسبَ التّعبير بـ (النّبأ) دون (الخبر).

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/403.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/229.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3778.
(4) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(5) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 41.

معنى (أل) في ﴿ٱلرُّسُلِ﴾:

قـصَّ اللـه على رسـولـه بعض أنباء الرّسل، إذْ لـم يقصَّ عليه جميعَ أنبائهم

أل التّعريف في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ عهديّةٌ؛ ومعهودها ذهنيّ، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ [النّساء: 164] أيْ: ليست جنسيّةً تعمُّ جميعَ الرّسل؛ لأنّ اللّه لم يقصّ على رسوله أنباءَ جميعِ الرّسل، وبذلك لا يقتضي اللّفظ قصّ أنباءِ جميعِ الرّسل.

معنى ﴿مَا﴾ في ﴿مَا نُثَبِّتُ﴾ وإعرابها:

تـحـوم حـول المـوصـولـيّـة والمـصـدريّـة والتّأكيد

تحتمل ﴿مَا﴾ في قوله ﴿مَا نُثَبِّتُ﴾ ثلاثة أوجه:

الأوّل: اسمٌ موصولٌ بمعنى الّذي في محلِّ نصبِ بدلٍ من ﴿وَكُلّٗا﴾[1]، والمعنى: نقصّ عليك كلَّ نبأٍ من أنباءِ الرّسل الّذي نثبّت به فؤادك.

أو مفعول به[2]، وكُلًّا منصوب على المصدر، بمعنى كلّ نوعٍ من أنواعِ الاقتصاصِ نقصُّ عليك الّذي نُثبّتُ به فؤادك من أنباءِ الرّسل[3].

أو خبر لمبتدأ محذوف، والمعنى: هو ما نثبتُ به فؤادك[4].

وفائدةُ الاسم الموصول على إعرابها (بدل، مفعول به، خبر) هي التّنبيهُ على المقصود من الاقتصاص، وهو زيادةُ يقينه، وطمأنينة قلبه، وثباتُ نفسه على أداء الرّسالة، واحتمال أذى الكفّار[5].

الثّاني: مصدريّة، والمعنى: نقصّ عليك من أنباءٍ تثبيتًا لفؤادك.

الثّالث: للتّأكيد، والمعنى: نقصّ عليك كلّ نبأٍ نُثبّتُ به فؤادك.

(1) درويش، إعراب القرآن: 4/446.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/228.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/152.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/228.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/152.

دلالةُ التّعبير بالمضارع ونون العَظَمة في ﴿نُثَبِّتُ﴾:

عظمةُ المثبِّتِ سبحانه تأكيدٌ لإثباتِ الموعودِ وتحقُّقِه؛ وهو استمرارُ تثبيتِ قلبه الشّريف ﷺ

عبَّرَ القرآنُ بصيغةِ المضارعِ ﴿نُثَبِّتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾؛ للدّلالة على استمرارِ وتَجدُّدِ أثر هذه الأخبار العظيمة بما تحمله من زيادةِ يقينهِ ﷺ، وطمأنينةِ قلبهِ، وثباتِ نفسه على أداءِ الرّسالة وتحمُّلِ أعبائها، فكلّما أعادَ ذِكْر قصصِ الأنبياء وأحوالِ أممهم معهم؛ زادَهُ ذلك تذكُّرًا وعلمًا بأنَّ حالَه جارٍ على سنَنِ الأنبياء[1]، وذلك لأنَّ الفعلَ المضارع له دلالته الخاصّة؛ فهو يدلُّ على حدوثِ الشّيء بعد أنْ لم يكن، ويُعبّر عنه بالتجدُّد الحدوثيّ، بخلاف ما لو عبّر بالاسم فقال: (مثبّتين به فؤاده) فإنّه لا يدلّ إلّا على الثّبوت، بمعنى إثباتِ الشّيءِ للشّيء، وفي هذا إشارةٌ إلى كثرةِ ما تحتويه هذه الأنباءُ من دلائلَ وفوائدَ لها الأثرُ الكبير في تثبيت قلبه ﷺ؛ "لأنّ تكاثر الأدلّة أثبتُ للقلب"[2].

كما أنّ التّعبيرَ بصيغةِ المضارعِ يفيدُ تصويرَ مشهدِ التّثبيت لفؤاده الشّريف والتّسكين، بما يُظْهِرُ للنّبيّ ﷺ فضلَ اللّه عليه وعلى أمّته.

وجاءَ بصيغةِ الجمعِ مُسنَدًا إلى نون العظمة ﴿نُثَبِّتُ﴾ مع أنَّ اللّه واحدٌ أحدٌ؛ لأمريْن:

الأوّل: ليُشعرَ بعظمة الرّبوبيّة بما يُفيد التّأكيد لإثبات الموعودِ وتحقُّقِه، وهو تثبيتُ قلبه الشّريف، والمبالغة في التّنبيه والاهتمام بهذه الأنباء.

الثّاني: المبالغةُ في تعظيم هذا التّثبيت، إذ هو من المَلِكِ المالكِ القادرِ الحيّ القيّوم سبحانه، وتعظيم أثره، وتعظيم مَن تنزّل عليه ﷺ، وتعظيم أمّته المعتبرة والمتّعظة به؛ أيْ: نقصُّ عليك ما نثبّتُ بعظمتنا به فؤادك.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/91.

معنى الباء في ﴿بِهِۦ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ سببيّةٌ، والمعنى: نُطمئنُ فؤادك، ونزيدُ يقينك بسبب ما نقصُّه عليك من أخبار الأنبياء العظيمة قبلك؛ لأنّ "المشاركةَ في الأمور الصّعبةِ تُهوّنُ على الإنسانِ ما يَلْقى من الأذى، والإعلامَ بعقوباتِ المُكذّبين فيها تأنيسٌ للمكروب"[1].

دلالةُ حرفِ الباء على السّببيّة بيانٌ لأثرِ قصص الأنبياء في زيادةِ ثباتِ قلبه الشّريف

نكتة التقديم في قوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾:

قدّمَ البيانُ القرآنيّ المُسندَ وهو شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾ على المُسندِ إليه ﴿فُؤَادَكَۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾؛ اهتمامًا بقصصِ القرآنِ، وتأكيدَ أنَّ الله هو الّذي يُثبِّت قلبَ النّبيِّ ﷺ بما يقصُّه عليه من أخبار الرّسل، وأنَّ هذه الأخبار هي مصدرُ الحقِّ والموعظة والذّكرى للمؤمنين، وأخّرَ ﴿فُؤَادَكَۖ﴾ تشويقًا.

التقديمُ اهتمامٌ بالمُقدَّم وتشويقٌ للمؤخَّر

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾:

شبَّه البيانُ الإلهيّ الفؤادَ في قوله تعالى: ﴿نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ بشخصٍ يسكنُ ويثبتُ بعد اضطرابٍ وتزلزُلٍ، فحذفَ المُشبَّه به، وأبقى شيئًا من لوازمه؛ وهو السّكونُ في المكان، إذ إنّ حقيقةَ التّثبيتِ هي التّسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطرابُ والتّزلزلُ، فالاستعارةُ مكنيّة.

في الاستعارةِ تقريرٌ لثباتِ قلبِ النّبيّ ﷺ وزيادةُ يقينه

وغرضُ الاستعارةِ تقريرُ ثباتِ قلبِه ﷺ، "وهو ها هنا ليسَ للشَّكّ، ولكن كلّما كانت الدّلالةُ والبرهانُ أكثرَ؛ كان القلبُ أثبتَ، كما قال إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260]"[2]؛ أيْ: زيادةُ يقينه ومعلوماته بما وعدَه الله؛ لأنّ كلَّ ما يُعاد ذِكْرُهُ من قصصِ الأنبياءِ، وأحوالِ أُممهم معهم يزيدهُ تذكّرًا وعلمًا بأنَّ حالَه جارٍ على سنَنِ الأنبياءِ قبله[3].

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/404.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/84.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.

غرضُ العطف في قوله: ﴿وَجَآءَكَ﴾:

ثـمـرةُ القصصِ الحقِّ هو نتاجُ حقّيّتها وصدقها

عطفَ البيانُ الإلهيّ قوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ﴾ على قوله: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ إتمامًا للمعنى؛ بأنّه لَمّا بيَّن أنّ كلّ ما قُصَّ عليه من أخبارهم يستلزمُ هذا المقصود وهو تثبيتُ قلبه ﷺ؛ بيّن أنّ هذه الثّمرة - وهي تثبيتُ قلبهِ الشّريف - إنّما هي نتاجُ صدقِ القصصِ القرآنيّ وحقّيّته ومطابقته للواقع؛ أيْ: أنّه ليس كما يُعلّل به غالبًا من الأخبارِ الفارغةِ، والأحاديثِ المزخرفةِ الباطلةِ، ولا ممّا ينقلهُ المؤرّخون مشوبًا بالتّحريف، فقال: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ أي: الأخبار ﴿ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: الكاملُ في الثّباتِ الّذي لا مريةَ فيه[1].

سرُّ اختيارِ المجيء في قولِه: ﴿وَجَآءَكَ﴾:

مجيءُ الحقّ إلى رسولِ ﷺ إتيانٌ عظيمٌ محقّقٌ بعيدٌ عن عواملِ النّقص

آثرَ البيانُ الإلهيّ استعمالَ مفردةِ المجيء دون الإتيانِ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ﴾؛ فلم يَقُل: (وأتاك ...)؛ لأمور منها:

- أنّ المجيءَ أوسعُ دلالةً من الإتيانِ، فهو تمامُ الإتيانِ؛ فإنّ الإتيانَ إذا اكتملَ، وبلغَ مقصده من مكانٍ أو زمانٍ أو شخصٍ؛ أصبحَ مجيئًا، وكلُّ مجيءٍ إتيانٌ، وليس كلُّ إتيانٍ مجيئًا.

- ولأنّ المجيءَ يُستعمل فيما عَظُم شأنه، أمّا الإتيانُ فهو مجيءٌ بسهولة[2]، فناسبَ هنا التّعبير بفعل (جاءك) مع عظم الحقّ وشموله.

- ولأنّ المجيءَ أنسبُ للسّياق، إذ المجيءُ يُقال اعتبارًا بالحصول، فهو إتيانٌ مُحقّقٌ بعيدٌ عن عواملِ النّقص؛ من نفيٍ أو شرطٍ أو عمومٍ بلا تفاصيل، أو استفهامٍ، أو رجاءٍ، أو احتمالٍ.. أو غير ذلك، أمّا الإتيانُ فقد يُقال باعتبارِ القصد وإنْ لم يكن منه الحصول[3]،

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/404.
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 60.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 212.

والسّياقُ هنا سياقُ تحقُّقٍ؛ فالقرآنُ قد نزل على رسوله ﷺ، والتّثبيتُ به قد تحقّق لرسول اللّه ﷺ، وكونه حقًّا وموعظةً وذكرى أمرٌ واقعٌ بعيدٌ عن عوامل النّقص.

نكتة التّعبير بـ ﴿فِي﴾:

التّعبيرُ بالظّرفيّة تأكيدٌ لتغلغلِ الحقّ وتمكُّنه في أخبارِ الرّسلِ

عبّر البيانُ القرآنيّ بـ ﴿فِي﴾ الظّرفيّة في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾؛ تأكيدًا لتغلغلِ وتمكّن واستقرارِ الحقّ في هذه السّورة القرآنيّة (سورة هود)؛ فقد كانت أوفى بأنباءِ الرّسل من السُّور النّازلةِ قبلها، أو بتغلغلِ الحقّ في الآية الّتي قبلها، وهي قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [هود: 116] إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، إذ إنَّ هذه الآياتِ الثّلاث أوّل ما نزل في شأن النّهي عن المنكر[1]، أو لتغلغله وتمكّنه فيما قصَّ عليه من أخبار الرُّسل، وأنّها ليستْ من الأخبارِ الفارغة، والأحاديثِ المزخرفةِ الباطلة، ولا ممّا ينقلهُ المؤرّخون مشوبًا بالتّحريف، بل هي الحقُّ الكاملُ في الثّبات[2]، وقد جاء الظّرف هنا تأكيدًا لتثبيت قلبِ النّبيّ ﷺ، وذلك لعظم المقصود من قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12][3].

سببُ التقديم في قوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾:

المقصودُ بيانُ منافعِ السّورة وتأخيرُ ما حقّه التّقديم لتبقى النّفس مترقّبة إليه

قدّم القرآنُ الكريم شبه الجملة (الظّرف) ﴿فِي هَٰذِهِ﴾ على الفاعل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾؛ "لأنّ المقصودَ بيانُ منافعِ السّورة، أو الأنباءِ المقصوصة فيها، واشتمالها على ما ذُكر من المنافعِ المفصّلة، لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها، ولأنَّ عند تأخير ما حقّه التّقديم تبقى النّفس مترقّبة إليه؛ فيتمكّن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/192.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/404.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/404.

فيها عند الورود فضلَ تمكُّنٍ، ولأنَّ في المؤخَّر نوعَ طولٍ يُخلُّ تقديمُه بتجاوبِ أطرافِ النّظم الكريم"[1].

نكتة اسم الإشارة القريب ﴿هَٰذِهِ﴾:

سـورةٌ عظيمةٌ قريبةٌ من قلبِ النّبيّ ﷺ وقلبِ أمّته

الهاء: للتّنبيه؛ وذا: اسم إشارة للقريب، وفي استعمال القرآن اسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ﴾ الدّال على القريب تشريفٌ وتعظيمٌ لهذه السّورة، وقرب منزلتها ومكانتها من النّبيّ ﷺ، وهذا القربُ معنويٌّ؛ فهي قريبةٌ منه ﷺ في منزلتها ومكانتها؛ لِما أتى فيها من أنباءٍ عظيمة من أنباء الرّسل الّتي ثَبّتَتْ قلبَ النّبيّ ﷺ، ولو لم تكن قريبةً لَما ثبّتتْ قلبهُ الشّريف، وخاصّةً أنها أوفى السّور بأنباء الرّسل من السّور النّازلة قبلها.

وكذلك القربُ مادِّيٌّ؛ فقد كانتْ تتنزّل على قلبهِ الشّريف، ويتلوها على أصحابهِ ﷺ، وفي هذا القربِ المعنويّ والمادِّيّ ترغيبٌ في التّمسكِ بها، والعكوفِ على تلاوتها، وما جاء به من الحقّ، والاتّعاظ والذّكرى، ولذا سأل أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه النّبيَّ ﷺ: «يا رسولَ اللّه قد شِبتَ! قالَ: شيَّبتني هودٌ، والواقعةُ، والمُرسَلاتُ، وعمَّ يتَساءَلُونَ، وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[2].

كما أنّ القرآنَ الكريم كثيرًا ما يُشيرُ باسم الإشارةِ إلى القريب عندما يقصّ قصصًا أو يخبرُ عن حدثٍ، كقوله تعالى في سورة آل عمران بعد أنْ ذكر قصّة مريم وعيسى وزكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وقوله: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: 106].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/248.

(2) أخرجه التّرمذيّ، السّنن، الحديث رقم: (3297) واللّفظ له، وابن سعد، الطّبقات الكبرى، الحديث رقم: (1180)، والحاكم، المُستَدرَك على الصّحيحيْن، الحديث رقم: (3314)، وصحّح إسناده الألبانيُّ في صحيح التّرمذيّ، الحديث رقم: (3297).

سرُّ التخصيصِ بالحقّ في الآية:

التّخصيصُ تأكيدٌ وزيادةُ تشريفٍ وتفضيلٍ

خصّصَ البيانُ القرآنيّ سورة هود بوصفها بالحقّ - والقرآن كلُّه حقٌّ - في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ على قول مَن فسّر اسم الإشارة بالسّورة؛ لعدّة أوجه:

الوجه الأوّل: أنَّ ذلك يتضمّن معنى الوعيد للكَفَرة، والتّنبيه للنّاظر فيها؛ أيْ: جاءك في هذه السّورة الحقّ الّذي أصابَ الأمم الظّالمة، وهذا كما يُقال عند الشّدائد: جاءَ الحقّ، وإنْ كانَ الحقّ يأتي في غيرِ شديدةٍ[1].

الوجه الثّاني: تأكيدٌ، ومعنى الكلام: "وجاءك في هذه السّورة الحقّ مع ما جاءك في سائرِ سورِ القرآن"[2]، إذ "بعضُ الحقّ أوكدُ من بعضٍ في ظهوره عندنا، وخفائهِ علينا، لا في عينه"[3].

الوجهُ الثّالث: زيادةُ تشريفٍ للسّورة بالتّخصيص، ورفعًا لمنزلتها، وزيادةَ تفضيلٍ لها مع مشاركة غيرها إيّاها في ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238][4]؛ لكونها جمعتْ من قصص الأمم الماضية ما لم يكن في غيرها[5].

معنى (أل) في ﴿ٱلْحَقُّ﴾:

(أل) التّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ تحتمل وجهيْن:

تعريفُ الحقِّ تشريفٌ لماهيّته وتسليةٌ للنّبيّ ﷺ بالحقّ الّذي يعرفه

الأوّل: جنسيّةٌ استغراقيّةٌ؛ تفيدُ العمومَ، أيْ هو حقٌّ بالنّسبة إلى كلّ أحد[6]، فالحقّ هو الأمر الثّابت، وهو الحقّ الكاملِ التّامّ الّذي لا حقَّ فوقه؛ لأنّه ثابتٌ صادقٌ، مُنزّلٌ من الله سبحانه لا يتغيَّر، وفيه التّثبيتُ والموعظة، والتّذكّر الدّائم[7].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/229.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/543.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/85.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/116، والإيجيّ، جامع البيان: 2/208، والرّازيّ، أنموذج جليل، ص: 215، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/276.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/276.
(6) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/404.
(7) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3779.

ولكنّ حَملَ الحقّ على الجنسِ فيه إشكالٌ، إذ إنّ حقيقته تستلزم انحصار كلّ حقٍّ في هذه السُّورة؛ وهو مُنتفٍ، فيكون مجازًا عن التّفضيل والتّشريف، إلّا إذا قلنا إنَّ الإشارة بـ ﴿هَٰذِهِ﴾ إلى الدّنيا لا إلى السّورة، وهذا بخلاف قول جمهور المفسّرين[1]، قال عنه الرّازيّ: "هذا بعيدٌ غيرُ لائقٍ بهذا الموضع"[2]؛ لأنّه لم يجرِ للدّنيا ذكرٌ حتّى يعودَ الضّمير لها[3].

الثّاني: عهديّة والمعهود ذهنيّ؛ إشارةً إلى حقٍّ معهودٍ للنّبيّ ﷺ، إمّا بأن كان يَتَطَلَّبُهُ، أو يسألُ ربَّه[4]، وفي هذا إرشادٌ وتسليةٌ للنّبيّ ﷺ ممّا هُو معروفٌ معهودٌ عنده، ولذا عُرّف الحقّ دون أخويْهِ (موعظةٌ وذكرى)[5].

والتّعريف للحقّ سواء كانت اللّام جنسيّةً أو عهديّةً دون تاليَيْهِ (موعظةٌ وذكرى) فيه تفخيمٌ له؛ لكونه يُطلَقُ على الله تعالى بخلاف تاليَيْهِ[6].

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِه: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾:

الحقُّ كائنٌ يجيءُ إليكم ليعظكم ويحُضّكم على الإيمان

شبَّه البيانُ الإلهيُّ الحقَّ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ بشخصٍ يجيء، فحذف المُشبَّه به، وأبقى شيئًا من لوازمه وهو المجيء، فالاستعارةُ مكنيّة.

إذ من الممكن أنْ يقول: (قد جاءك جبريلُ بالحقّ)، ولكنّه عدلَ عن ذلك؛ لأنّ في تعبيره بالاستعارة تصويرٌ للحقّ، وكأنّه قد تجسّد وصارَ له مجيء، رغم أنّ الحقّ هو آيات، وأرادَ الله تعالى بذلك أنْ يُعطيَ الحقَّ صورةَ الحركةِ الّتي تُؤثّر وتحضّ على الإيمان.

(1) الرّازيّ، أُنموذج جليل، ص: 216.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/412.
(3) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/86.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/193.
(5) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/241.
(6) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/276.

دلالة التّعبير بـ ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾:

بين كمالِ وعظٍ فيه تخويفٌ وترقيقٌ وقوّةُ دلالةٍ وتأكيدٍ يكمنُ الأثرُ العظيم

عبّر البيان القرآنيّ بمادة الوعظ في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾؛ إشارةً إلى كمالِ بلاغةِ الخطابِ القرآنيّ، بأنْ جمعَ بين "تخويفٍ وترقيقٍ يحملان على الامتثال"[1]؛ بالإضافة إلى مناسبةِ هذه المادّة للقصص القرآنيّ الّتي جاءتِ الموعظةُ ثمرةً من ثمراته، إذ إنّ مادّة الوعظ تتضمّن معنى النّصحِ وإرادةِ الخير بالطّرف الآخر مع الزَّجْر المُقترن بالتّخويف، والتّذكير من سوءِ عاقبةِ مَن لم يعملْ بها، فهي وصيّةٌ بالخير والبُعد عن الشّرِّ بلفظٍ مؤثّر، وبذلك كانتْ أوسعَ دلالةً على المطلوب من مفرداتها مثل: (الهداية أو الوصيّة)، إذ الهداية تكون بلطفٍ، والوصيّةُ قد تكون بلفظٍ مؤثّرٍ، وقد تكون بلفظٍ غير مؤثّر.

وأمّا بلاغةُ التّعبير بصيغتها فتتمثّل في قوة الدّلالة، وزيادة تأكيد أثر هذه الموعظة في نفوس المؤمنين، إذ إنّه عبّر عن الوعظِ بالمصدر الميميّ (مَوْعِظَةٌ) دونَ المصدر القياسيّ الأصليّ (وعْظ)؛ والمصدر الميميّ فيه قوّةُ دلالةٍ على الحَدَث، وهو هنا مجيءُ الموعظةِ، وفي هذا تشريفٌ لمنزلةِ الوعظ.

غرضُ تنكيرِ ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ و﴿وَذِكْرَىٰ﴾:

الموعظةُ والذِّكرى عطاءٌ من العظيم سبحانه؛ والعطاءُ من العظيم لا يكون إلّا عظيمًا

التّنكيرُ في ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ و﴿وَذِكْرَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يفيدُ التّفخيمَ والتّعظيم[2]؛ فالموعظةُ والذّكرى اللّتان جاءتا في القرآن، أو سورة هود من ربٍّ مالكٍ أمْرَ النّاس هي عظيمةٌ لا يُكْتَنَهُ كُنهها، ولا يُحدُّ حَدُّهُا، ولا يُقدّرُ قَدْرُها، ففضلُها كبيرٌ، وأثرُها عظيمٌ، وخيرُها لا ينقطعُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/108.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/193.

فائدةُ تقديم الموعظة على الذّكرى:

الموعظةُ تسبقُ التّذكّرَ فهي سببٌ له

قدّم البيانُ القرآنيّ الموعظةَ على الذّكرى في قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ التّذكير لا يكونُ إلّا بعدَ الموعظة الّتي من شأنها أنْ تُرقّق القلوبَ بما تسمعه من التّرغيب والتّرهيب، كقصصِ إهلاكِ الأمم الماضية، والقرونِ الخالية المُكذِّبة، وهذا من باب تقديم السّببِ على المُسبِّب، أيْ إنّ الموعظة قُدّمت على الذّكرى؛ لكونها سببًا في التّذكّر، وبالتّالي كانت هي الأسبق.

معنى اللّام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

الذكرى تنفعُ المؤمنين دونَ غيرهم لأنّهم أرادوا الانتفاعَ

اللّامُ في قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لامُ الاختصاص؛ خَصَّ المؤمنين بالذّكرى؛ لأنّهم وحدَهم الّذين ينتفعون بالذّكرى[1]، فهم المُتّعظون إذا سمعوا قصصَ الأنبياء، أو تنفعهم الذّكرى؛ لكونهم المُتأهّلين للاتّعاظ والتّذكّر[2]؛ لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذّاريات: 55]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزّخرف: 44]، ومن خواصِّ القرآن: أنّه يستعملُ (ذكرى) في سياقِ الدّعوة والتّبليغ، ويستعملُ (ذكرى) في سياقِ الهدايةِ الفرديّة[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القلب والفؤاد:

القلبُ مُضغةٌ في الصّدرِ مُتقلّبةٌ بالأفكارِ، والفؤادُ وعاءُ القلبِ متحرّقٌ متحرّك

القلب: أصلُ (قلب) يدلُّ على رَدِّ شيءٍ من جِهةٍ إلى جِهةٍ، أو على خالصِ الشّيءِ وشريفه (باطنُ الشّيءِ ولُبُّه)[4]، ومنه قلبُ الإنسان؛ وهو الجارحةُ والمُضغةُ المعروفةُ الّتي في الصّدر، فهي أشرفُ ما في الإنسان وأخلصه[5]، وسُمّي بذلك لكثرةِ تقلّبه، ويُعبَّر بالقلبِ عن

(1) الشّربينيّ، السّراج المنير: 2/86.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/116، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/606.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 12/115.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قلب).

العقلِ، وعن المعاني الّتي تختصّ به من الرّوح والعلم، والشّجاعة وغير ذلك[1].

والفؤادُ: أصله يدلّ على حُمَّى وشِدَّةِ حرارةٍ، وسُمِّيَ بذلك لحرارته[2]، والفُؤادُ: القلبُ، لكنْ يُقال له: فُؤادٌ إذا اعتُبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ؛ أيْ: التّوقّد[3]، وقيل: أصله من الحركةِ والتّحريك، ومنه اشتُقَّ الفُؤادُ، لأنّه ينبضُ ويتحرّك كثيرًا[4].

نلاحظ أنَّ العلماءَ قد عرّفوا القلبَ بالفؤاد، والفؤادَ بالقلب، ولا يكادون يُفرّقون بينهما، قال الرّاغب: "الفُؤادُ كالقلب، لكن يُقال له: فُؤادٌ إذا اعتُبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ؛ أيْ: التّوقّد"[5]، وقال الأزهريّ: "وقيل: القلوبُ والأفئدةُ قريبان من السّواء... وقال بعضهم: سُمِّيَ القلبُ قلبًا لتقلّبه، وسُمِّيَ الفؤادُ فؤادًا لتحرّقه على مَن يُشفق عليه"[6].

ومن العلماء مَن ذكر فروقًا بينهما، ومن هذه الفروق: أنّ القلب مضغةٌ من الفؤاد مُعلّقةٌ بالنِّياط، وأنّ القلب أخصُّ من الفؤادِ لحديث: «أتاكُمْ أهلُ اليمنِ هم أرقُّ قلوبًا وألينُ أفئدةً»[7]، فوصفَ القلوبَ بالرِّقّة، والأفئدةَ باللّين[8].

وأمّا الفؤادُ: فقيل: هو وعاءُ القلب، وقيل: داخله، وقيل: غشاؤه، والقلبُ: حبّتُه[9].

الموعظة والنُّصح:

الموعظةُ والنّصحُ متقاربان في المعنى، وكلاهما يشتركان في

الموعظةُ زجرٌ وتخويفٌ من سوءِ العاقبة، والنّصحُ صدقٌ وإخلاصٌ للمنصوح له

(1) الرّاغب، المفردات: (قلب)، والفِيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/289.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فأد).
(3) الرّاغب، المفردات: (فأد).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (فأد).
(5) الرّاغب، المفردات: (فأد).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (قلب).
(7) صحيح البخاريّ، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريّين وأهل اليمن، رقم: 4388، ومسلم، صحيح مسلم، برقم: (52).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (قلب)، والفِيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 4/289.
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (فأد).

معنى إرادة الخير بالطّرف الآخر وإرشادِه إلى ما فيه صلاحه، إلّا أنَّ هناكَ ما يتميّز به كلٌّ منهما، ويظهرُ ذلك من خلالِ الرّجوعِ إلى المعنى اللّغويّ، وإلى الاستعمال القرآنيّ لكلٍّ منهما:

فالموعظةُ في اللُّغة: التّخويفُ والتّذكيرُ بالخير وما يرقّ له قلبه[1]، والنُّصح والتَّذكير بالعواقب[2]، وقيل: زجرٌ مقترنٌ بتخويف[3]، وكأنّ الواعظ يُذكّر ويُنبّه غيرَه إلى عواقب ما يفعله، أو ما هو مُقدِمٌ عليه ليتوقّف عنه، ويظهر وكأنّ الوعظ خاصٌّ بالزّجر عمّا له عواقب سيّئة، ثمّ عُمّم في الحضّ على ما له ثوابٌ[4].

والنُّصْحُ: أصله يدلُّ على مُلاءَمَةٍ بين شيئَيْن وإصلاحٍ لهما، والنُّصْح: خِلافُ الغِشّ[5]، نَصَحَ الشّيءُ: خَلَصَ، وكلّ شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ؛ ونَصَحْتُ لَهُ نَصيحتي؛ أيْ: أخْلَصْتُ وصَدَقْتُ، والنُّصْحُ: مَصْدَرُ نَصَحْتُه[6]، والنّصيحة: إرادةُ الخيرِ والصّلاح للمنصوح له وإرشاده له، فهو قولٌ فيه دعاءٌ إلى صلاحٍ، ونَهيٌ عن فسادٍ[7].

إذن: تتميّز الموعظة بالزّجرِ المُقترنِ بالتّخويفِ، والتّذكيرِ من سوءِ عاقبةِ ما هو مُقدِمٌ عليه ليتوقّف عنه.

بينما يتميّز النُّصْحُ: بالصّدقِ والإخلاصِ للمنصوحِ له.

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (وعظ).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (وعظ).
(3) الرّاغب، المفردات: (وعظ).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وعظ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نصح).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (نصح).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس، ومجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (نصح).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»